OPEN ACCESS
Received: 26 -09 -2024
Accepted: 19- 12-2024

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

The Artistic Formation of the Character of Maryam Bint Imran in the Quranic Stories: A Study in Light of Narrative Concepts

Dr. Afaf Alhajj Ba Baker Abdulrahman *
aabdulrhman@ut.edu.sa

Abstract

This study explores the character of Maryam (Mary) in the Holy Quran, examining her portrayal through the narrative elements of Quranic stories, which appear in various forms. It aims to highlight the artistic features that define her depiction as a figure chosen and honored by Almighty Allah, embodying exemplary morals and serving as a model for women worldwide. Utilizing narrative concepts such as character, description, dialogue, and scene, alongside elements of time and place, the research identifies the unique artistic qualities of Quranic storytelling. The study comprises an introduction, a preface addressing the concept of character and story in modern literary criticism, and three sections. The first section outlines the story of Virgin Maryam in the Quran, defining its scope and features. The second examines artistic elements, including description, dialogue, scene, time, and place. The third focuses on Maryam's psychological and physical characteristics. The findings emphasize the Quran's distinct approach to portraying moral values through its characters, alongside the creation of dramatic atmospheres that bring the characters to life, vividly reflecting the depth of human emotions and the soul's diverse states.

Keywords: Character Formation, Quranic story, Narration, Time, Place.

* Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Education and Arts, University of Tabuk, Saudi Arabia.

Cite this article as: Abdulrahman, A. A. B. (2025). The Artistic Formation of the Character of Maryam Bint Imran in the Quranic Stories: A Study in Light of Narrative Concepts, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(1): 98 -119.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2024/09/26م
تاريخ القبول: 2024/12/19م

التشكيل الفني لشخصية مريم بنت عمران في القصص القرآني: دراسة في ضوء مفاهيم السرد

د. عفاف الحاج بابكر عبد الرحمن *
aabdulrhman@ut.edu.sa

ملخص

تناولت هذه الدراسة شخصية السيدة مريم في القرآن الكريم من خلال دراسة علاقاتها بعناصر السرد في القصة القرآنية التي جاءت متفرقة على أكثر من صورة. وقد هدفت إلى تبيّن السمات الفنية التي ميّزت تشكيل شخصية السيدة مريم في الآيات القرآنية، بوصفها واحدة ممن اصطفاهم الله سبحانه وشرّفهم برعايته، فكانت بأخلاقها نموذجًا وقدوة لنساء العالمين. وقد اعتمدت الدراسة على مفاهيم السرد: الشخصية والوصف والحوار والمشهد، بالإضافة إلى عنصري الزمان والمكان؛ لتبيّن الملامح الفنية التي ميّزت القصة القرآنية الكريمة. وتتكوّن من مقدمة، وتمهيد، يتناول: الشخصية والقصة من منظور السرد في النقد الأدبي الحديث، ثم ثلاثة مباحث: الأول قصة السيدة مريم في القرآن الكريم: حدود القصة ومعالمها. الثاني العناصر الفنية في قصة السيدة مريم (الوصف، الحوار، المشهد، الزمان، المكان). الثالث السمات النفسية والمادية لشخصية السيدة مريم. ومن ثم توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أبرزها ما تميّز به القصص القرآني من تركيز على تصوير القيمة الخلقية في الشخصية القرآنية، بالإضافة إلى تصوير الجو الدرامي بما يجعل الشخصية حية نابضة بالمشاعر والأحاسيس التي تعكس النفس الإنسانية في أحوالها المختلفة.

الكلمات المفتاحية: بناء الشخصية، القص القرآني، السرد، الزمان، المكان.

* أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم اللغة العربية - كلية التربية والآداب - جامعة تبوك - المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: عبد الرحمن، ع. ا. ب. (2025). التشكيل الفني لشخصية مريم بنت عمران في القصص القرآني: دراسة في ضوء مفاهيم السرد، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(1): 98-119.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

ورد ذكر مريم عليها السلام في أكثر من موضع من سور القرآن الكريم وآياته، وهو ذكر يأتي على سبيل الاعتبار، ضمن قصص الأمم السابقة. واللافت في هذا الذكر أنه يصنع في مجموعه قصة متكاملة؛ تمثّل فيها شخصية السيدة مريم العنصر الرئيس، وتتقاطع مع غيرها من القصص؛ أبرزها قصة سيدنا زكريا وابنه يحيي، ثم قصة عيسى عليهم جميعا السلام، الأمر الذي يجعل من قصة مريم واحدة من نقاط التقاطع في القصص القرآني، كما يجعل من شخصيتها عليها السلام واحدة من الشخصيات الرئيسة التي ورد ذكرها في آيات القرآن الكريم وسوره.

وقد كانت هذه القصص مصدر كثير من الكتب التي فسّرت آيات القرآن الكريم، أو جعلت قصصه موضوع كتابتها، ومن أشهرها _ كما هو معروف _ قصص الأنبياء لابن كثير، ولكن في الوقت نفسه، لفت هذا القصص القرآني كثيرا من الباحثين، فجعلوه مناط بحثهم، ودرسوا مكوناته، ومن تلك الدراسات: مما وقف عليه الباحث:

1 . رحاب كامل عبدالله الهاشمي: عنصر الشخصية في القصة القرآنية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية، العدد التاسع والثلاثون، الإصدار الأول، مارس 2023م، الجزء الأول، (507 . 551). تتناول الدراسة مفهوم القصة القرآنية وعلاقتها ببناء الشخصية

2 . فاتح حسني عبد الكريم: معالم الشخصية وعوامل بنائها في القصص القرآني . دراسة وصفية، مجلة المرقاة للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة السادسة، مجلد 11، العدد الحادي عشر 1445هـ

3 . عبدالوهاب الشيخ أحمد: بناء الشخصية في القصة القرآنية . دراسة نفسية، مجلة الجامعة العراقية، ع (1/29)، (73 . 120)، المكتبة المفتوحة، تاريخ الإضافة 22 يناير 2023م، https://arabicpdfs.com

4 . ميادة رشدي عكاوي: منهجية دراسة القصص القرآني والقيم المستفادة (قصة امرأة عمران أنموذجا)، مجلة جمعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد 20، العدد 2، يونيو 2023م (572 . 598)

وهي جميعا دراسات ركزت على الجانب العقيدي والإيماني في قصص القرآن، وهذا في مقابل دراسات أخرى تناولت الجانب السردي في هذه القصص، سواء من ناحية الحوار أو الشخصية، ومنها دراسات:

5 . هالا سعيد محمد مقبل: الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم . دراسة دلالية بيانية، ماجستير، كلية الآداب والعلوم/ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط 2010 . 2011م

6 . حسن سالم هندي: بينة الشخصية المؤمنة في القصة القرآنية والرواية الإنسانية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 1433هـ/ 2012م

7 . حمد بن عبدالله بن حمد السيف: توظيف عنصر الحوار في القصة القرآنية: قضية الألوهية في حوارات الأنبياء أنموذجا، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا (1161 . 1178)، المجلد 40، ع 3، يوليو 2019م.

8 . عبدالله محمد فهد: روعة القصص القرآني في تصوير الأحداث ورسم الشخصيات . قصة ذي القرنين نموذجا . دراسة وصفية موضوعية، مجلة العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، 2023، العدد 34 (381 . 412).

كما يمكن أن نلحظ أن هذه الدراسات خلت _ أو كادت _ من أي ذكر لشخصية السيدة مريم في القصص القرآني، كما أنها ركزت على الجانب القيمي في بناء شخصيات القرآن الكريم، الأمر الذي جعلها لا تلتفت لا إلى السمات الفنية في بناء الشخصية، ولا إلى علاقتها بمكونات السرد الأخرى، من حوار وزمان ومكان، فضلا عن خلوّها من ذكر السيدة مريم، ما يجعل من دراسة شخصيّتها ضرورة، لتبيّن التشكيل الفني لصورة وشخصية المرأة المؤمنة في القرآن الكريم.

من هنا، جاء تناول سمات هذه الشخصية الكريمة، من خلال دراسة علاقتها بالمكونات الفنية في هذا القصص، وفي ضوء مفاهيم السرد التي تبيّن كيفيات حضورها وتأثيرها الفني.

وبهذا المنحى يسعى التحليل إلى تعيين سمات شخصية السيدة مريم على نحو خاص، بوصفها نموذجا لتشكيل الشخصية في القصص القرآني، وذلك من خلال علاقتها بالعناصر الأخرى للسرد في هذه القصة الكريمة.

وما تهدف إليه الدراسة يكمن في التالي:

1. استجلاء عناصر القص في قصة السيدة مريم، وبيان طابعها الفني.

3. دراسة تأثير شخصية السيدة مريم في محاور البناء السردي في القصة، من وصف وحوار ومشهد وزمان ومكان.

4. تحديد سمات شخصية السيدة مريم من خلال حضورها العيني في القصة.

والدراسة تعتمد على مفاهيم السرد الأساسية: القصة، الشخصية، وما تتضمنه من علاقات بمكونات السرد الأخرى، من راوٍ، حوار، وصف، مشهد، بالإضافة إلى عنصري الزمان والمكان اللذين يشكّلان فضاء الحكاية وبيئتها.

وعلى هذا الأساس تتكوّن الدراسة من مقدمة، وتمهيد، يتناول: الشخصية والقصة من منظور السرد في النقد الأدبي الحديث، ثم ثلاثة مباحث:

الأول. قصة السيدة مريم في القرآن الكريم: حدود القصة ومعالمها.

الثاني. العناصر الفنية في قصة السيدة مريم (الوصف، الحوار، المشهد، الزمان، المكان).

الثالث. السمات النفسية والمادية لشخصية السيدة مريم.

خاتمة، تتضمن أبرز نتائج الدراسة.

تمهيد: الشخصية والقصة من منظور السرد

يميل الإنسان بطبيعته إلى الحكايات، جامعا في ذلك بين الرغبة في المتعة والمعرفة (قنديل، 2002، ص 19-22)، ومع هذا الميل الفطري فقد اهتم المشتغلون بالأدب بتعريف هذا الميل بوصفه فنا أدبيا، له مقوماته، وقدموا تعريفات عدة له، تتفق على أن القصة شكل أدبي، يصوّر حياة الإنسان ومواقفه، من خلال حكاية خيالية، تتضمن في تكوينها عدة عناصر؛ أبرزها الشخصية والزمان والمكان، وما تتضمنه هذه العناصر من علاقات تعكس صراعات الإنسان وسعيه نحو تحقيق أهدافه؛ خيرا أو شرا (أمين، 2018، ص 25، 26).

وقد أدركت الرسالات السماوية هذا الميل الفطري في طبيعة الإنسان، فقصت عليه أخبار الأمم السابقة، من باب العبرة والعظة (قنديل، 2002، ص 22)، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: 3]، ولذلك فالقصة في القرآن الكريم تعني تتبع أخبار الآخرين ورواية آثارهم (قنديل، 2002، ص 26، 27)، وهي من هذا الباب تتصل بفنون كثيرة في التراث العربي؛ تعتمد على رواية الأخبار في صور فنية متنوعة، شملت القصص الديني والفلسفي والأحاديث الخرافية، بل وشملت كتب المسامرات والأخبار والأمثال، وجميعها يهدف إلى كشف مواقف إنسانية متنوعة، بغرض التسلية ونقل المعرفة أيضا (هلال أ، د.ت، ص 218 . 238). وقد استوى فن القصة مثله مثل فن الرواية متأثرا بالآداب الغربية ونماذجها المتنوعة في القصة والرواية؛ وإن يكن للتراث العربي القصصي في ذلك أثر بالغ لا يمكن إنكاره (هلال ب، د.ت، 500، 501).

ولعل أبرز عناصر فن القص عموما يتجلى في الشخصية، وهي من الناحية الفنية تمثّل في هذا الفن نموذجا إنسانيا؛ يعكس أحوال الإنسان وعادته (هلال ب، د.ت، ص 526)، كما تمثّل نموذجا للفضائل وللصفات التي يتحلى بها الإنسان، سواء أكانت صفات حميدة أم سمات مرذولة (هلال أ، د.ت، ص 293، 294؛ اليزيدي، 2021؛ اليزيدي، 2018). وهذه الشخصيات تظهر في القصة بوصفها كائنا حيا، ينتمي إلى الواقع، لكنها لا تنفصل عن العالم الخيالي الذي يرسمه الكاتب (مرتاض، 1998، ص 86، 89).

هذا الأصل الإنساني لمدلول الشخصية ينعكس في تعريفها اللغوي، فقد جاء في لسان العرب أن "الشخصية" "من شخص الشخص: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص، والشخص: سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه [.... و] الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص، والجمع أشخاص وشخوص وشِخاص" (ابن منظور، د.ت). وقد يُراد به الهيئة والذات المخصوصة التي يمتاز بها الإنسان عن غيره (البستاني، 1998، ص 455).

ومن ثم فقد أكدت هذه التعريفات اللغوية على أن الشخصية هي ما يمتاز به الإنسان عن الآخر من سمات وصفات متميزة، وهي بهذا المعنى لا تختلف عن بعض تعريفاتها الفنية التي حددت الشخصية بوصفها المظهر الخارجي للإنسان (فتحي، 1986، ص 210)، وإن كانت تعني في المعنى الشائع مجمل السمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حيّ، في الأعمال الفنية التي تعتمد على وجود شخصيات، كالقصة والرواية والمسرحية (فتحي، 1986، ص 210). إلا أن التعريف الفني من جهة أخرى، لم يهمل الدور الفني الذي تلعبه الشخصية بوصفها عنصرا من عناصر بناء القصة، فالشخصية " هي كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أما من لم يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف، الشخصية، [وهي] عنصر مصنوع، مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها" (زيتوني، 2002، ص 113، 114) .

فالشخصية إذن هي المحرك الرئيس في أحداث الرواية؛ إما بالسلب أو بالإيجاب، ومع ذلك فقد تكون "الشخصية الروائية فكرة من الأفكار الحوارية، التي تدخل في تعارض دائم مع الشخصيات الرئيسية أو الثانوية" (علوش، 1985، ص 126).

ومعنى هذا أن الأفكار والمعاني لا تستقل عن الشخصية، فهي تحيا في الأشخاص، وتحيا بها الأشخاص، وسط مجموعة من القيم الإنسانية يتفاعل فيها الوعي الفردي مع الوعي العام في مظهر من مظاهر التفاعل على حسب ما يهدف إليه الكاتب في أغراضه الإنسانية، وفي نظرته لهذه القيم (هلال ب، د.ت، ص 526).

ومن هنا تكتسب الشخصية أهميتها في القصة والرواية، إذ تتفاعل مع الزمان والمكان وتصنع الحدث، وتُجري الحوار، في أساليب متنوعة، ما يجعلها منظومة متنوعة متداخلة، تتشابك مع العناصر الفنية الأخرى في بناء القصة، فالحدث يؤثر في الشخصية، والحوار يبلورها، ويكشف عن الكثير من جوانبها، كما أنه يؤدي وظيفة حيوية في سبيل تعميق الحدث وتطويره (الزير، 1985، ص 231؛ المطيري، 2022؛ واصل، 2016). وهو ما يعني أننا نستطيع التعرف على الشخصية من خلال الحدث أو الحوار الذي تقوم به، كما نتعرّف عليها من خلال الوصف الذي يدل على طبيعتها وسلوكها (سليمان، 1995، ص 54).

وفي هذا الإطار، فقد صور القصص القرآني الشخصية أحسن تصوير، وأعطاها ما تستحق من اهتمام، ومنحها قوامها الذي كانت تدب به بين الناس، بطريقة تجعلنا نتابعها بدقة، ونميز [فيها] بين أنماط الخبيث والطيب، وبين من يُقتدى به ومن هو حقيق بالتجنب" (طول، 1989، ص 56). ومن ثم فقد عكس في تناوله أبعاد الشخصية السوية وغير السوية، وبيّن

العوامل المكونة لكل منهما، وذلك ليتحقق التوازن بين البدن والروح، ومن ثم تتحقق ذاتية الإنسان في صورتها الحقيقية الكاملة، فيسعد في الدنيا والآخرة (نجاتي، 1997، ص 223-336). على أن التصوير القرآني للشخصية ركز على الجوانب الإيمانية فيما عرضه من قصص، وقد ركز الباحثون أيضا على هذا الجانب الإيماني، بما يجعل دراساتهم بعيدة عن موضوع هذه الدراسة، إلا أن ما جاءوا به في هذه الدراسات يفيد البحث في التركيب الفني للشخصية، من وجهة نظر السرد.

ولا ريب أن شخصية السيدة مريم عليها السلام، واحدة من أبرز الشخصيات التاريخية الدينية والتي تمثّل نموذجا وقدوة، في حياتها وفي مواقفها، وفي سلوكها وصفاتها، على نحو ما سوف أبيّنه في مباحث هذه الدراسة.

المبحث الأول: قصة السيدة مريم في القرآن الكريم: حدود القصة ومعالمها

مريم ابنة عمران بن ياشهم أو بن ماثان، إمام قومه وصاحب قربانهم (الطبري، د.ت، 3/ 314)، وكان من سلالة سليمان بن داود بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهما السلام (الطبري، د.ت: 303/3)، وأمها (امرأة عمران) الصالحة التي أثنى الله على إخلاصها، وهي جدة عيسى عليه السلام رسول الله وكلمته واسمها _كما جاء في التفاسير _ حنة بنت فاقوذ أو فاقود بن قبيل (الطبري، د.ت: 303/3).

وقد اصطفى الله - سبحانه وتعالى - من ضمن من اصطفى من العالمين آل بيت عمران، ومنّ عليهم بالفضائل العالية والأعمال الصالحة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران: 33، 34].

وقد أكرم الله سبحانه هذين الزوجين الكريمين، فوهب لهما مريم، ثم وهب لمريم عيسى عليه السلام، ليكون آية للعالمين، وجعل زكريا عليه السلام مربيها وكافلها، فقال [آل عمران: 35-47]:

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾.

والقصة طويلة كما هو واضح من الآيات الكريمة، وسبب الطول أن قصة السيدة مريم تداخلت بحكم انتمائها لبيت آل عمران الذي اصطفاه الله سبحانه، مع قصتي زكريا وعيسى عليهما السلام. ولذلك فالآيات الكريمة تضمنت في حقيقتها ثلاث قصص: قصة مريم، قصة زكريا، وقصة عيسى عليها السلام.

وقصة مريم في هذا الترتيب هي المفتاح للقصص الثلاث التي يميّزها أنها تترابط بمنطق التداعي، فمن سؤال سيدنا زكريا للسيدة مريم: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ ، ينتقل الحديث إلى قصة زكريا عليه السلام، حيث يدعو ربه: " هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ، ومن بشارة الملائكة للسيدة مريم بميلاد المسيح عليه السلام، وتعجُّبها أن تلد دون أن يقربها بشر، إلى المسيح نفسه، إذ يؤكد معجزته ونبوّته: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ ، ومن ثم ينتقل الحديث إلى قصة المسيح التي تستغرق الآيات من الآية (48 .61)، حيث قال تعالى، وصفا له وحكاية على لسانه عليه السلام [آل عمران: 48-61]:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾.

وبعد انتهاء القصص الثلاث تعود الآيات إلى الإطار العام الذي يحكمها؛ أي كونها تدل على العبرة في قصص الأمم السابقة، وتؤكد وحدانية الله تعالى في كل عصر، قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: 63].

ومعنى هذا أننا أمام تركيب سردي يعتمد على التداخل المستمر والتوازي بين القصص المتضمنة في الآيات، فقصص مريم وزكريا وعيسى عليهم السلام، متداخل، ومتوازٍ؛ إذ إن كل قصة منها ذات إطار مستقل عن القصة الأخرى، لكنها تتداخل

معها، من منطلق انتمائها إلى قصص الأمم السابقة من الأنبياء والصالحين وغيرهم، وهذه كما سماها الله سبحانه: ﴿ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: 63]، فهي ليست من اختراع بنات الخيال، والهدف منها العبرة وكشف جزاء المؤمنين و مآل الكافرين في كل عصر (فهد، 2023، ص 388-384).

أما قصة السيدة مريم عليها السلام، فيمكن التمييز فيها بين ثلاث لحظات قصصية:

- البشارة قبل الميلاد
- النشأة والتربية الحسنة
- المخاض وميلاد المسيح عليه السلام

ويمكن أن نضيف إلى هذه اللحظات الثلاث لحظة أخرى تتعلّق بقصة بعيسى عليه السلام، لكنها تصف أخلاق السيدة مريم.

واللحظة الأولى (البشارة قبل الميلاد)، هي اللحظة التي حكى فيها القرآن الكريم عن آل عمران، متضمنا الحكاية عن أم السيدة مريم التي نذرت ما في بطنها لعبادة الله، على نحو ما أوردته في الآيات السابقة، وأم السيدة مريم عليها السلام هي التي نذرت لله ما في بطنها؛ مخلصا لعبادة الله وطاعته، محررا من أسر الدنيا وقيودها، خادما لبيت المقدس، ودعت الله بكل ضراعة وخشوع أن يتقبل منها نذرها، قالت: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: 35].

وهذا الدعاء الخاشع من امرأه عمران "ينم عن ذلك الإسلام الخالص لله، والتوجه إليه كلية، والتحرر من كل قيد، والتحرر إلا من ابتغاء قبوله ورضاه" (قطب، 1977: 392/1). ولكن الأمر _ كما يحكي القرآن _ لم يكن كما توقعت امرأة عمران، فلقد وضعت أنثى لا ذكرا: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: 36]، فأذهلتها المفاجأة، وارتاعت، ولجأت إلى الاعتذار إلى ربها، حزنا على خيبة رجائها (الزمخشري: 1988: 550/1).

"ولأن الله -سبحانه وتعالى- أعلم منها بنفاسة ما وضعته، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته" (ابن عاشور، د.ت: 233/3)، قال: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: 36]، وفي هذا بيان لعلو منزلة المولودة، وسمو قدرها، ورفعة شأنها، ثم إنها اختارت لها اسم مريم الذي يعني في لغتهم: العابدة (الزمخشري: 1988: 551/1)، تفاؤلا بحالها، وما تود أن تصير إليه من التبتل والعبادة في بيت الله، فقالت: ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 36]، وللاسم علاقة بالمسمى. ثم إنها ختمت مناجاتها لربها بالدعاء لابنتها أن يعيذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، قالت: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]، فكانت النتيجة أن الله سبحانه _كما حكى _ قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: 37].

لقد رضي الله بالمولودة الأنثى؛ أي أن تكون محررة لعبادته وخدمة بيته، وأغدق عليها من فضله، وأنبتها في غذائه، فكملت امرأة بالغة تامة، ورأف بيتمها، فضمها إلى زكريا عليه السلام، فكانت ثمرة طيبة لأم صالحة، وعمرت بيتها بالعبادة، وقلبها بالإخلاص.

وحتى هنا تنتهي حكاية القرآن عن ميلاد السيدة مريم، من لحظة نذر أمها إلى لحظة الميلاد، ثم كفالة زكريا عليه السلام لها: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: 37]، وبطبيعة الحال فإن القرآن الكريم لا يذكر التفاصيل ويكتفي باللحظات المهمة التي تمثّل لقطات رئيسية في الحكاية، على النحو الذي يمكّن المستمع من إكمال فراغات الحدث السردي. وهذا لأن القرآن الكريم في طبيعة عرضه لقصص الأمم السابقة يقدم الشخصية والحدث تقديما غير مباشرٍ، من خلال التركيز على الشخصية وأعمالها وحركاتها، والجو الملائم من رهبة أو رغبة في الحدث، بما يخدم الغاية من القصة عبرة وعظة (فهد، 2023، ص 385).

ومن ثم، يمكن للباحثة أن تلاحظ في الآيات السابقة أن لفظ القرآن الكريم ركز على الحدث الذي تمثّل في ثلاثة أفعال: حمل أم السيدة مريم ونذرها، ثم ميلاد السيدة مريم واعتذار أمها لكون المولود أنثى، ثم تقبّل الله للمولود الجديد ومباركته له في حياته، ورعايته في كفالة زكريا عليه السلام.

أما جانب الشخصية فقد ركزت الآيات على الأصل الطيب الذي تعود له أسرة السيدة مريم: آل عمران، فهي ممن اصطفاهم الله، وهؤلاء يضم نسبهم عددا من الشخصيات الكريمة التي أجملها الله سبحانه في قوله: " آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ"، وآل عمران الذين تنتمي إليهم السيدة مريم _ كما تقول التفاسير _ من سلالة سليمان وإبراهيم عليهما السلام. أي أن القرآن الكريم في لفظ قليل استحضر عددا من الشخصيات الكريمة المعروفة بأخلاقها ونبوّتها، مما لا يحتاج معه إلى تفصيل.

ومن ثم ظهرت شخصية أم السيدة مريم بعد هذا التقديم الكريم لشخصيات الأنبياء، بوصفها امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: 35]. ومن قولها ومن جواب رب العالمين عليها نفهم أنها امرأة صالحة، عابدة، وهذا يكفي لنتوقع بعد ذلك أن تكون ذريّتها على مثالها، ومن ثم تظهر شخصية السيدة مريم باسمها صريحا دون تكنية: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: 36، 37].

وجواب ربّ العالمين على تخوّف أم السيدة مريم واعتذارها عن المولود دال على أخلاق السيدة مريم، فقد تكفّل الله برعايتها، وأسند تربيتها إلى واحد من أنبيائه الكرام، وقد حسنت التربية حتى أذهلت المربّي ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾. ولذلك نشأت السيدة مريم امرأة صالحة عابدة، بل إن اسمها الذي اختارته أمها يعني في لغتهم العابدة (الزمخشري: 1988: 551/1)، فوافق الاسم المسمّى، وقد شهد لها رسولنا الكريم ﷺ في قوله: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" (البخاري، 2000، ح: 3411).

نحن إذن أمام عدة شخصيات، سمتها الأساسية الصلاح والعبادة، وهي سمة مشتركة بينهم جميعا، وقد اصطفاهم الله جميعا، وجعل الأنبياء من بينهم دليلا لوحدانيته وعبادته. أما السيدة مريم عليها السلام فقد خصها الله سبحانه بأنها

صدّيقةٌ أخلصت في إيمانها وعبادتها، على ما جاء في كتاب الله تعالى، قال: "﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: 75]، وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: 11، 12].

في الآية الأولى يتحدث الله سبحانه وتعالى عن معجزة المسيح عليه السلام، بوصفه آية من آيات ربه، حيث خلقه من أم من غير أب، نفيا لمن يدعون ألوهيّته أو ألوهيّة غيره من المخلوقين، وفي الثانية يتحدث عمن آمن من الناس؛ فكان نموذجا للصدق في العقيدة والإخلاص في العبادة، وقد ضرب الله في ذلك مثلا امرأة فرعون والسيدة مريم للمؤمنين والمؤمنات.

وما يهمنا في ذلك أن الآية الأولى أضافت وصفا للسيدة مريم بوصفها صدّيقة، وهو اشتقاق من الصدق، معناه الذي صدّق قوله عمله، وهو مبالغة من الصدق (ابن منظور، د.ت، ص 2417 .2418)، وهي صفة تؤكد ما جاء في الآية الثانية من سورة التحريم من حسن إيمانها وامتثالها لأمر الله، فقد "أحصنت فرجها"، وهو دليل على الامتثال والإيمان القويّ الذي جاء نتيجة التربية الحسنة التي تعهّدها بها زكريا عليه السلام وتقبّل الله ورعايته سبحانه لها.

ويمكن أن نلحظ هنا أن اللحظة الثانية التي أشرت إليها في قصة السيدة مريم عليها السلام . أي النشأة التربية الحسنة اختلطت باللحظة الأولى، لحظة البشارة ما قبل الميلاد وكفالة زكريا عليه السلام لها. وهي لحظة أبرز ما فيها تلك المعجزة التي تنم عن أخلاق السيدة مريم، فقد كان يأتيها الرزق من عند الله في محرابها، وكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها ذلك الرزق، ولما يسألها تجيب إجابة المؤمن الواثق من ربه: " ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: 37].

ويمكن أن نلاحظ هنا أن القصة تأخذ منحى جانبيا، لتركز على موقف وقصة زكريا عليه السلام، حيث دعا الله سبحانه أن يرزقه الولد الذي كان يشتاق إليه، فلما جاءته البشارة بالولد، تعجب لكونه بلغ من الكبر درجة تمنعه من الإنجاب، وامرأته عاقر:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَب لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: 38-41].

ورغم قصر الآيات التي تتضمن قصة زكريا عليه السلام، فإنها تتضمن ثلاث شخصيات: زكريا عليه السلام، وامرأته، ويحيي عليه السلام، بالإضافة إلى الملائكة الذين يقومون بدور المبشرين في هذه الآيات الكريمة. ولا نعرف عن زكريا ويحيي عليهما السلام إلا أنهما نبيّان كريمان، وامرأة زكريا هي أيضا امرأة صالحة، زوجة النبيّ الكريم.

ومن ثم تأتي اللحظة الثالث في هذه القصة، حيث بشارة الملائكة للسيدة مريم بولادة المسيح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 45-47].

وهي لحظة صعبة على نفس السيدة مريم، لكونها امرأة صالحة، ولم يمسسها بشر، ولكن الآيات الكريمة اكتفت بتلخيص الموقف العام لهذه البشارة الكريمة، قبل أن تنتقل لوصف عيسى عليه السلام. وهو وصف دقيق، استغرق الآيات من (48 . 61) من آل عمران، وهي مختومة بالتأكيد على أن عيسى عليه السلام معجزة الله في خلقه، وأنه واحد من عباد الله، وأن لا إله إلا الله سبحانه:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: 59-61].

ولذلك فإن تتمة قصة مريم عليها السلام تأتي في موضع آخر من القرآن الكريم، حيث الآيات من (16 . 36) من سورة مريم، قال تعالى [مريم: 16-36]:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

والآيات الكريمة تركز على موقف بشارة الملائكة للسيدة مريم بالمسيح عليه السلام، والحوار الذي دار بينها وبين الملك الكريم، وحملها وولادتها، ثم عودتها لقومها به، وردة فعله، ثم رد المسيح عليه السلام عليهم، لينتهي المشهد كله بتأكيد وحدانية الله سبحانه، ثم تنتقل الآيات إلى ذكر آخر، حيث قصة إبراهيم عليه السلام، مع قومه، من الآيات (41 . 50) [مريم:

41 -50]، وكانت الآيات بدأت بذكر زكريا عليه السلام، من الآيات (2 . 15) [مريم: 2 -15]. ويمكن هنا أن نعتبرها إرهاصا للقصص المتعدد الذي تلاها، لنرى في الآيات الكريمة تتابعا في ذكر الأنبياء، وإلماحا لقصصهم، فقد بدأت بزكريا وانتهت عند موسى، ثم إبراهيم ونوح، عليهم جميعا وعلى نبينا السلام [مريم: 2 -58].

ومن ثم يمكن أن نرى في الآيات الكريمة تتابعا لعدد من القصص، جاء فيها قصة مريم عليها السلام الثانية في الترتيب. وما يلفت النظر في قصة مريم عليها السلام تلك التفصيلات السردية المدهشة التي اتخذت شكل ومضات أو لقطات سريعة، تتنقل بالحدث، بداية من الذكر: " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ"، والذكر يشبه في معناه الكلمات المفتاحية في القصص الأدبي (مرتاض، 1998، ص 163، 175)، فالأمر: اذكر، من الفعل ذكر، وهو يحمل في معناه الخبر، والقصة (ابن منظور، د.ت) ، ومن بعده تتابع اللقطات في شكل أحداث سردية، على النحو الآتي:

. مريم عليها السلام (شخصية)

. مريم تتخذ مكانا شرقيا، وتنقطع للعبادة.

. الملك عليه السلام يأتي السيدة مريم ويبشّرها بعيسى عليه السلام.

. مريم تحمل بعيسى عليهما السلام.

. المخاض يأتي السيدة مريم.

. ولادة المسيح عليه السلام.

. السيدة مريم تعود بالوليد لقومها.

. عيسى عليه السلام يكلّم قومه ويبرئ والدته ويثبت نبوّته.

وقد أكّدت الآيات الكريمة (القصة) على صفة أخرى من صفات السيدة مريم، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم، 20]، أي طاهرة مما يدنّس الأخلاق والجسد، جاء في اللسان: البغيّ الفاجرة، الزانية، العاهرة (ابن منظور، د.ت). ونفي الصفة إثبات لضدها، أي الطهر والعفة. وقبل ذلك كان الإيمان بالله والخضوع لأوامره، والانقطاع لعبادته: "﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ (مريم: 16، 17).

ولهذا فإن القصة -من جهة أخرى- تتضمن ثماني وحدات سردية، كل وحدة منها تمثّل حدثا مستقلا، وجزءا من القصة الكلية، وفيها كل عناصر السرد تقريبا، من شخصيات وحوار ووصف ومشهد، وزمن، على نحو ما سوف أبيّنه في المبحث التالي من هذه الدراسة.

المبحث الثاني: العناصر الفنية في قصة السيدة مريم:

تتكوّن أي قصة سرديا من عدة عناصر؛ تشمل الحبكة والشخصية والزمان والمكان (كولر، 2003، ص 181)، ما يجعل التحليل السردي يركز على هذه العناصر التي تتضمن عدة قضايا أساسية، تقف عند حدود الرؤية السردية والمتكلم في القصة، وعلاقتهما بالزمان والمكان في فضاء الحكي (كولر، 2003، ص 120-125؛ واصل، 2021).

وقصة السيدة مريم عليها السلام، على النحو الذي عرضته في المبحث السابق، تشمل هذه العناصر جميعا، ففيها الزمن المحدد بزمن المسيح عليه السلام، وفيها المكان الذي يدل السرد القرآني وتعليقات المفسرين على أنه في فلسطين، أما الشخصية فهي متعددة، تشمل الأنبياء المذكورين في الآيات: زكريا، يحيي، عيسى، عليهم جميعا السلام، والسيدة مريم وأمها

وأباها، عليها السلام، وقوم السيدة مريم الذين حاوروها بعد أن عادت لهم بالطفل الوليد عليه السلام، والملائكة الذين بشّروا زكريا عليه السلام مرة، والسيدة مريم عليها السلام مرة.

أما الحبكة، بوصفها طريقة عرض القصة الناتجة عن تسلسل الحوادث بما يؤدي إلى نتيجة فهي القصة، وتتضمن في الوقت نفسه الصراع في شكله النفسي الوجداني بين الشخصيات، أو الصراع على مستوى الأحداث المادية (وهبة، والمهندس، 1984، ص 144)، فيمكن أن نتلمّس حضورها من خلال عرض القصة نفسه، بوصفه صراعا بين الكفر والإيمان، على مستويات متعددة، ومن خلال قصص متداخلة، وهو ما يتفق مع طبيعة الحبكة باعتبارها شيئا يستدل عليه القارئ من أحداث القصة وأفكارها (كولر، 2003، ص 120).

وطريقة العرض هذه تلفتنا إلى أنماط السرد بوصفها "الكيفية التي يعرض لنا بها السارد القصة، ويقدمها لنا بها" (تودوروف، 1992، ص 61)، فالطريقة التي جاءت بها قصة السيدة مريم عليها السلام في الآيات الكريمة، جاءت ضمن خطاب عام، هو الخطاب القرآني، الذي يحكي/ يخبرنا "عن واقع خارج الخطاب" (تودوروف، 1992، ص 62) ، ويحدد وجهة نظر السارد (بانفيلد، 1992، ص 124)، بوصفه صوتا إلهيا، وخطابه القرآني هو كلامه المعجز، وهو موجه إلى المؤمنين، ويهدف إلى العبرة والعظة من هذا القص المتعدد، أي أن المسرود لهم أو المرويّ لهم هم فئة خاصة من الناس، وإن يكن الخطاب في إطاره العام موجها لعموم البشر، من منطلق أن القرآن موجه لجميع الناس.

وموقع السارد في هذه القصة هو السارد العليم، الذي يعرف كل شيء عن شخصياته، وينظر إلى القصة من الخلف (تودوروف، 1992، ص 58)، ويخبر عن الأحداث بصيغة الحاضر، رغم أنها جميعا جرت في زمن سابق على الحكي نفسه. ولكن الخطاب القرآني بما هو معروف عنه من بلاغة وإعجاز (الخرشة، 2008، ص 30-36) جعل من هذه الأحداث تجري أمام النظر مجرى الحقيقة الواقعة في الزمن الحاضر.

وهذا يلفتنا أيضا إلى أمرين بارزين في القصص القرآني، من واقع بناء القصص القرآني نفسه، الأول: ذلك التعدد والتداخل بين القصص، إذ تقترن قصة السيدة مريم بقصص زكريا ويحيي وعيسى، بالإضافة إلى استحضار قصص آدم وإبراهيم ونوح، عليهم جميعا السلام، وإن يكن بدون تفصيل. وهو ما يجعل من نظام بناء قصة السيدة مريم عليها السلام، قائما على التداخل والتتابع، فهي من ناحية يمكن النظر إليها بوصفها قصصا متعددة، يدخل في بنائها التسلسل والتناوب، كما يمكن النظر إليها بوصفها قصصا متوازية، يمكن فصل كل قصة منها على حدة (تودوروف، 1992، ص 56، 57)، وإن كانت تدخل في إطار أكبر، هو إطار ذكر السابقين من الأنبياء وحكاية قصصهم المختلفة. بل إننا يمكن أن نلحظ في بعض مواضع القصة أن قصة السيدة مريم تعمل بوصفها قصة أكبر، تتضمن في داخلها قصصا أخرى، هي قصة زكريا ويحيي عليه السلام، ثم قصة عيسى عليه السلام، على ما في قوله تعالى من آل عمران [آل عمران: 37-39]:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾.

وقوله في سورة مريم [مريم: 25-27]:

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾.

وهذا التداخل بين قصة السيدة مريم وقصص زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، يلفتنا إلى الأمر الثاني البارز في تركيب هذه القصة؛ إذ يتحرك فيها العرض ما بين التلخيص والاتساع في المشهد، وهما من أبرز خصائص السرد التي تمنح القصة فاعلية التشويق (بارت، 1992، ص 31، 32)، وتؤثّر على جريان الزمن فيها وطبيعته. أما التلخيص فهو يأتي على مستويين: الأول مستوى ذكر الأنبياء والناس ممن اصطفى الله على العالمين، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: 33، 34]، وقوله أيضا في ختام القصص كله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾" [آل عمران: 62، 63]، ليمثّل بذلك التلخيص إطارا كليا حاويا للقصص، ليؤكد حقيقة القصص.

أما المستوى الثاني في التلخيص، فهو الإشارة المتوالية للأحداث داخل القصة، إذ تنتقل الآيات من موقف إلى موقف، ومن حالة إلى حالة في القصة، لتصنع بهذا الانتقال إطارا عاما لحكي يتضمن الزمان والمكان. والإطار هو العلامات التي يضعها السارد _ الخطاب القرآني _ ليميّز حدود القصة، كما في قوله تعالى في بداية ذكر السيدة مريم عليها السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: 35-37].

ففي هذا القول الكريم، يتم الانتقال سريعا من نذر امرأة عمران لما في بطنها؛ محررا لله، إلى وضعها وتبيّنها أن المولود أنثى، وتقبّل الله سبحانه لها، وكفالة زكريا لها، وسؤاله للسيدة مريم عن الرزق يأتيها في المحراب، ثم بشارة الملائكة لزكريا بيحيى عليهما السلام، وبشارتهم للسيدة مريم بالمسيح عليه السلام، فكل هذه الأحداث التي يمثّل كل منها وحدة قصصية، في الحقيقة تأخذ وقتا زمنيا طويلا، يبدأ من قبل ميلاد السيدة مريم، إلى ميلاد السيد المسيح، وهو ما يعني أن الزمن في هذه الوحدات تم اختزاله بطريقة مدهشة؛ إذ إنه -رغم التلخيص- يصنع مشهدا كاملا للقصة، ويحدد إطارها الزمني الكليّ.

وفي مقابل هذا التلخيص، يأتي الاتساع _ التفصيل والشرح _ في المواضع التي تتعلّق خاصة بالمسيح عليه السلام، بداية من بشارة الملائكة للسيدة مريم بميلاده، وهي بشارة تؤكد طهارة السيدة مريم، وبراءتها مما يرميها به المبطلون، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى

غُلَٰمٗ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: 16-21].

كما يأتي التمديد في موضع دعاء زكريا عليه السلام بعد أن رأى ما عند السيدة مريم من رزق، وعلم مكانها من الله تعالى؛ إذ يبيّن التمديد هنا أن صلاح السيدة مريم وتقواها كان دافعا لزكريا عليه السلام، ليشتد في نفسه الأمل، ويدعو الله سبحانه، أن يهبه الولد، قال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾[آل عمران: 38.41].

ومع التمديد والتلخيص، تظهر تعليقات السارد _ وهو خطاب الله تعالى ربّ العالمين _ وهي تعليقات تؤكد وحدانية الله سبحانه، كما تؤكد مطلق قدرته في الخلق، ففي ختام قصة عيسى عليه السلام، يأتي قول الله تعالى مؤكدا معجزته في خلق عيسى من غير أب، كما يؤكد وحدانيته التي لا تقبل شريكا من ابن أو غيره من البشر، قال: "﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾[مريم: 34.36].

هذا إلى جانب الحوارات المتعددة التي جاءت في هذا القصص الكريم، وكلها _ كما يمكن أن نلاحظ _ جاءت من منظور الرؤية من الخلف حيث يعلم الراوي كل شيء، وينقل الحوارات في أسلوب حرّ غير مباشر، والذي يتميّز بقدرته على استحضار أصوات المحكي عنهم في خطاب القصة (بانفيلد، 1992، ص 125-128)، الأمر الذي جعلنا نشعر بالأحاديث المتعددة بين مريم عليها السلام وزكريا، وزكريا عليه السلام والملائكة، ومريم عليها السلام والملائكة، ومريم عليها السلام وقومها، ومريم عليها السلام وعيسى عليه السلام، ثم عيسى عليه السلام وقومه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ [مريم: 16.21].

هذا بالإضافة إلى نوع آخر من الحوار يتمثّل في الدعاء الذي تكرر، إذ توجهت أم السيدة مريم بالدعاء لرب العالمين؛ ناذرة لها ما في بطنها، ثم دعاء زكريا عليه السلام أن يهب الله تعالى من رحمته ولدا، يرثه ويكون من الصالحين: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ

كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران: 38. 41].

أما الفضاء المكاني أو حدود المكان في هذا القصص الكريم، فتكاد تغيب معالمه، ولا يكاد يظهر منه إلا صورة عامة للأماكن الرئيسة وهو: بيت أم السيدة مريم، محراب السيدة مريم، ثم محراب زكريا عليه السلام، والمكان القصيّ الذي وصفه الله تعالى بأنه مكان شرقيّ، وربما ساحة عامة حيث التقت السيدة مريم قومها وهي تحمل المسيح عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [مريم: 16، 17].

وغياب المكان على هذا النحو، أو عدم وضوح تفاصيله مفهوم تماما؛ إذ مقصد القصة كلها هو العبرة والعظة، وليس بناء صورة تفصيلية لمعالمه، ولذلك ما يلفت النظر إلى تلك المعالم تركيزها على مكان العبادة: المحراب، ومكان الولادة: جذع النخلة في المكان الشرقيّ الأقصى، وساحة اللقاء بين السيدة مريم وقومها. وهي الأماكن التي يمكن أن نقول عنها إنها المركز الذي انطلقت منه أحداث القصة، ومن ثم فلا حاجة إلى ذكر تفاصيل الأماكن الأخرى، وإن يكن بالإمكان تصوّر معالمها (مدينة عامة في الزمن القديم، أو قرية) كفضاء لهذا القصص الكريم.

المبحث الثالث. السمات النفسية والمادية لشخصية السيدة مريم:

إن ما يلفت النظر في تركيب قصة السيدة مريم عليها السلام، أنها تدور حول شخصية السيدة مريم نفسها، ما يجعل منها _ بحسب تصنيف السرديين _ قصة شخصية، وهي التي يكون فيها للشخصية وجود مستقل عن الحبكة، وتكون فيها صفاتها ثابتة، لا تتغير، كما يكون الحدث تابعا للشخصية (لحمداني، 1991، ص 17).

وسمات الشخصية وفق هذا التركيب تظهر من خلال الأقوال والأفعال التي يسندها إليها السرد (مرتاض، 1998، ص 86-93)، وهي سمات قد تكون ثابتة وقد تكون نامية (إسماعيل، ص 1978، ص 192، 193)، لكنها في كل الأحوال تظل منفصلة عن السرد، لكونها شخصية مستقلة (بارت، 1992، ص 26-28)، إذ الحدث -كما ألمحت- يكون تابعا لها.

لقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم السيدة مريم، وأكد في حديثه الشريف أنها واحدة ممن اصطفاهن الله سبحانه، وفضلهنّ على نساء العالمين، بما اختصصن به من أخلاق عالية، وإيمان، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" (البخاري، 2000، ر: 3411).

والصفة التي يسندها الرسول ﷺ للسيدة مريم في هذا الحديث هي الكمال، ومعناه _ كما ذكر المحدثون _ التناهي والكمال في الفضائل (موسوعة الأحاديث النبوية، 2024)، والمقصود بها إخلاص الإيمان والتقوى والخضوع لأمر الله والرضى بتقديره. أما السمة النفسية فهي واضحة مستخلصة من سلوك السيدة مريم، وتعني ثبات إيمانها ورسوخه واطمئنانها إلى قضاء الله ورضاها به.

وهذا ما ألحّت عليه الآيات في وصف السيدة مريم، إذ ذكرتها في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وكل موضوع يمكن أن نستخلص منه عددا من السمات التي تميّز السيدة مريم، خلقا وأخلاقا، على أننا نلحظ أن القسم الأكبر من القصة ورد في آل عمران التي ركزت على لحظة ما قبل الميلاد، وتابعت نشأة السيدة مريم إلى ميلاد السيد المسيح عليه السلام وصفاته، أما القسم الثاني منها فقد جاء في مريم، وركز على حمل السيدة مريم بالمسيح عليه السلام وميلاده، أما القسم الثالث فقد

جاء في سورة التحريم التي ركزت على وصف السيدة مريم باعتبارها من المخلصات اللاتي اصطفاهن الله من نساء العالمين، في حين أن القسم الأخير جاء في المائدة التي أكدت على نبوّة السيد المسيح وأمه الصديقة، بوصفهما بشرًا يأكلان الطعام. لذلك يصح أن نبدأ بالقسمين الأخيرين إذ يأتيان إجمالا القصة، بينما تأتي آل عمران ومريم تفصيلا للحظاتها المدهشة.

قال تعالى في التحريم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: 11، 12]

والسيدة مريم في هذه الآيات الكريمة مثال للذين آمنوا، أي نموذج مثاليّ للامتثال لأمر الله سبحانه، وهذه هي السمة الأولى من سمات السيدة مريم، أي كونها أيقونة أو رمزا مثاليّا للإيمان، ما يجعلها تجمع بين خصوصية السمة المادية بوصفها رمزا للمؤمنين، وخصوصية السمة النفسية بوصفها مثالا للإيمان، وخصوصية هذا الرمز تكمن في إعجازيّته؛ إذ اقترن بأربع صفات أخرى:

"أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا/ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا/ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ/ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين (12)" [التحريم: 12].

ويمكن ترجمة التعبير القرآني _ مع إعجاز لغته _ فالمقصود بإحصان الفرج الطهارة والخلوص من أي أثر للبغاء، على ما يصدقه قول الله تعالى في مريم: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ [مريم: 20]. أما النفخ فيه فالمقصود به أنها كانت موضعا لاستقبال معجزة الله سبحانه في خلق عيسى عليه السلام من غير أب، ما يجعلها وابنها آية من آيات الله سبحانه، على ما قال في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾[الأنبياء: 91].

وكونها صدقت بكلمات ربها، أي آمنت وخضعت لأمره تعالى، ورضيت بما قضاه من حكمة حملها بالمسيح عليه السلام من غير أب، كما آمنت بكتابه الذي أنزله على موسى عليه السلام من قبل، وعلى عيسى عليه السلام من بعده، فهي لذلك كما يقول المفسرون تتسم بالعفاف والحرية، وتصديق شرع الله وقدره (ابن كثير، 2000، ص 1897). وما يريده المفسرون من ذلك هو ما يترجم السمات النفسية للسيدة مريم متمثلة في ثبات إيمانها، والسمة المادية متمثّلة في كونها رمزا للمؤمنين.

ومن هنا نفهم قول الله تعالى في المائدة: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾[المائدة: 75]، فهو يؤكد صفة الصدق والتصديق في طبيعتها، كما يؤكد بشريّتها هي والمسيح عليه السلام، باعتبار ممارستهما لحياة الإنسان العادية، ممثلة في تناول الطعام. وهذه البشرية مسندة إلى نوعها البشري "أنثى"، واسمها الذي سمتها به أمها "مريم، أي العابدة (الزمخشري: 1988: 551/1) ، كما هي مسندة إلى أفعالها وأقوالها التي أفاضت في شرحها الآيات الكريمة في سورتي آل عمران ومريم. قال في آل عمران [آل عمران: 35. 37، 42. 47]:

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾.

وهي بحسب الآيات محمية بحماية الله سبحانه، بعد أن تقبلها بقبوله الحسن، وأنبتها نباتا حسانا، واختار لها زكريا عليه السلام ليكون كافلا لها، وملتزما بمصالحها، فضمها إليه ليرعاها ولتقتبس من علمه وعبادته وتبتله. والتبتل كما جاء في لسان العرب: قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته (ابن منظور، د.ت)، فنالت بتبتلها درجة الولاية وطابق اسمها فعلها _ كما رجت بذلك أمها _ وأكرمها الله _ تعالى _ برزقه الذي كان يفيض عليها في محرابها. من أجل ذلك كانت السيدة مريم عليها السلام واحدة من المصطفيات اللاتي بشرتهن الملائكة باصطفاء الله لها، وحثتها على أن تقنت وتسجد لربها وتكون من القانتين [آل عمران: 42 . 44]. والقنوت هو السمة النفسية التي تميّز السيدة مريم في هذا الموقف، وهو أيضا مرادف للرضى بقضاء الله والاطمئنان لتقديره سبحانه، على ما جاء في الآيات الكريمة:

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وعند هذه النقطة يمكن أن نلاحظ أن الآيات الكريمة تركز على الصفات المعنوية، سواء أكانت صفات تخص طبيعتها الخُلقية أو طبيعتها الإنسانية، وكلها صفات جاءت من رعاية الله سبحانه لله، أما الصفات المادية فهي التي يمكن أن نستخلصها من الآيات الكريمة، حيث تحولت من ذكر الصفات الثابتة إلى ذكر الصفات المادية المقترنة بحركتها وأقوالها، وهي حركات تنم عن الهدوء والطمأنينة في الحركة، بداية من الحوار الذي دار بينها وبين الملائكة، حين بشرتها بالمسيح عليه السلام، قال تعالى [آل عمران: 45 . 47]:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾.

واللافت في هذا الحوار المتبادل أنه جاء حكاية عن الملائكة ومريم معا باللفظ القرآني، أي أنه حوار منقول غير مباشر، ومع ذلك فهو ينقل حيوية اللقاء بينهما، إذ إن درجة السيدة مريم مكنتها من خطاب الملائكة خطابا مباشرا، وإن كنا لا نعلم كيفيّته. ومن ثم فالقصة هنا تأخذ سمتا دراميا، يصوّر الحديث، ليعكس المشاعر التي تتضمنها تلك الأقوال. وأبرز ما في هذه المشاعر تعجب السيدة مريم من البشارة، وإنكارها أن تحمل من غير أب، وقد أفاضت الآيات الكريمة في سورة مريم في تصوير هذا الحوار، من خلال تحديد المكان: ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ [مريم: 16]، وقد تمثّل الملاك في صورة بشر، ومن ثم دار الحوار الذي يشي بخوف السيدة مريم من رؤية هذا الملك الكريم، فاستعاذت بالله منه، فكان جوابه مطمئنا لها، مؤكد أنه رسول من عند الله سبحانه لهب لها غلاما زكيا، قال [مريم: 16 . 19]:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾.

ومن ثم يستمر الحوار الذي يبيّن شعور السيدة مريم بالحزن والحسرة، حتى شعرت باليأس، وتمنت الموت، إلى أن طمأنها السيد المسيح في مهده، فعادت إلى قومها تحمل الطفل الوليد، ودار بينها وبين قومها حوار ثالث، اتهموها فيه بإتيان أمر عظيم "فريّا"، بينما أبوها وأمها معروفون بالتقوى والصلاح، قال [مريم: 20 . 33]:

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

لقد اصطفى الله سبحانه السيدة مريم واختارها لعبادته، أما قصتها فكانت مثالا للتركيب القصصي الذي يشمل في مكوناته الحوار والوصف والزمان والمكان، على نحو ما بيّنت في الدراسة.

نتائج الدراسة:

توصل البحث إلى الآتي:

1. انبنت قصة السيدة مريم على ثلاث لحظات قصصية: البشارة قبل الميلاد، النشأة والتربية الحسنة، والمخاض وميلاد المسيح عليه السلام.
2. اتخذت اللحظات القصصية في قصة السيدة مريم مجموعة من اللقطات والمشاهد المتتابعة والتي تساوق السرد، وكان من أبرزها: دخول شخصية السيدة مريم إلى بنية القصة.
3. تتابع اللحظات القصصية في صورة مشاهد، مع تعدد القصص الجانبية جعل قصة السيدة مريم تتداخل مع قصص زكريا وعيسى عليهما السلام.
4. تتشكل شخصية السيدة مريم من مجموع اللحظات واللقطات القصصية المتداخلة، ولذلك لا يمكن فصلها عن الحوار والوصف والانتقال الزمني بين اللحظات المختلفة.
5. وتتابع اللقطات وانتقالها من قصة إلى أخرى جعل اللحظات الزمنية تقفز من قصة إلى أخرى، الأمر الذي جعل العودة في الزمن أو الاستباق كليهما من الميزات البارزة في التشكيل الزمني للقصة.
6. ركزت قصة السيدة مريم على اللمسات النفسية للشخصية، خاصة الإيمان والثقة بقضاء الله تعالى، وهي سمات تظهر من خلال ردود الأفعال إلى جانب الوصف الذي صاحب اللحظات القصصية المختلفة.
7. غابت الصفات المادية المباشرة في وصف شخصية السيدة مريم، وذلك لعناية الوصف القرآني بالطابع الإيماني أكثر من عنايته بالوصف المادي.
8. أدى الحوار دورا مهما في إبراز الجوانب النفسية والإيمانية في شخصية السيدة مريم، وذلك من خلال حوارها مع الملك الكريم مرة، ومع زكريا عليه السلام مرة، ومع المسيح عليه السلام مرة، ومع قومها مرة أخرى.
9. تنوّع الحوار بين المباشر وغير المباشر، أما المباشر فقد ظهر في حوار السيدة مريم مع زكريا عليه السلام ومع الملك الكريم، في حين اتسم حوارها مع السيد المسيح ومع قومها بأنها غير مباشر.

10. اتخذت الرؤية المسيطرة على القصة نمط الرؤية من الخلف، ذلك أن السارد _ كلام الله سبحانه في القرآن الكريم _ هو الذي يحكي القصة، وينتقي منها اللحظات المناسبة لعرضها في القصة.
11. رغم أن اللحظات المنتقاة في عرض القصة قليلة قياسا إلى الأحداث المحتملة إلا أنها كافية لرسم صورة كاملة للأحداث التي جرت.
12. بسبب قلة اللقطات المنتقاة في عرض القصة _ الحبكة _ يمكن اعتبار منظور الحكي ينطلق من (الرؤية مع)، حيث يعرف السارد بقدر ما تعرف شخصياته، إلا أن المعرفة الكلية التي يتميّز بها كلام الله سبحانه هي التي تجعل الباحث يميل إلى اعتبار المنظور المسيطر هو منظور الرؤية من الخلف.
13. والرؤية من الخلف تلعب الدور الحاسم في تشكيل الحبكة، حيث يتم الانتقال بين اللحظات القصصية، كما يتم الانتقال بين المشاهد والقصص المتداخلة.

المراجع

القرآن الكريم

إسماعيل، ع. (1978). *الأدب وفنونه* (ط.7). دار الفكر العربي.

أمين، مختار. (2018). *فن كتابة القصص القصيرة ونصوص تطبيقية*، دار المختار.

بارت، ر. (1992). التحليل البنيوي للسرد. *طرائق تحليل السرد الأدبي* (9 . 36)، (حسن بحراوي، وبشير القمري، وعبد الحميد عقار، ترجمة)، منشورات اتحاد كتاب المغرب.

بانفيلد، أ. (1992). الأسلوب السردي ونحو الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر. *طرائق تحليل السرد الأدبي* (123 . 156)، (بشير القمري، ترجمة)، منشورات اتحاد كتاب المغرب.

البخاري، م. ب. إ. (2002). *صحيح البخاري* (ط.1). دار ابن كثير.

البستاني، ب. (1998). *محيط المحيط*، مكتبة لبنان ناشرون.

تودوروف، ت. (1992). مقولات السرد الأدبي. *ضمن طرائق تحليل السرد الأدبي* (39 . 70)، (الحسين سحبان، وفؤاد صفا، ترجمة)، منشورات اتحاد كتاب المغرب.

الخرشة، أ. غ. ا. (2008). *أسلوبية الانزياح في النص القرآني* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]، جامعة مؤتة، الأردن.

الزمخشري، م. ب. ع. (1988). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، تحقيق؛ ط.1)، مكتبة العبيكان الرياض.

زيتوني، ل. (2002). *معجم مصطلحات نقد الرواية: عربي، إنجليزي، فرنسي* (ط.1). دار النهار للنشر.

الزير، م. ب. ح. (1985). *القصص في الحديث النبوي: دراسة فنية موضوعية* (ط.3). د.ن.

سليمان، ع. ح. (1995). *القصة القرآنية: الخصائص والأهداف*، (ط.1). مطبعة الحسين الإسلامية.

الطبري، م. ب. ج. (2002). *جامع البيان في تأويل آي القران* (ط.1). دار بن حزم.

طول، م. (1989). *البنية السردية في القصص القرآني*، ديوان المطبوعات الجامعية.

ابن عاشور، م. ا. (د.ت). *تفسير التحرير والتنوير*، سحنون للنشر والتوزيع.

علوش، س. (1985). *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة* (ط.1). دار الكتاب اللبناني.

فتحي، إ. (1986). *معجم المصطلحات الأدبية*، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر.

فهد، ع. م. (2023). روعة القصص القرآني، *مجلة العلوم الإسلامية*، (34)، 380-412.

القرني، أ. ع. ع. (2022). سيميائية الشخصية في رواية (ألف امرأة في جسدي). *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، (13)، 318-352. https://doi.org/10.53286/arts.v1i13.833

قطب، س. (1977). *في ظلال القرآن* (ط.4). دار الشروق.

قنديل، ف. (2002)، *فن كتابة القصة: كتابات نقدية*، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ابن كثير. (2000). *تفسير القرآن العظيم* (ط.1). دار ابن حزم.

كولر، ج. (2003). *مدخل إلى النظرية الأدبية* (مصطفى بيومي عبد السلام، ترجمة)، المجلس الأعلى للثقافة.

لحمداني، ح. (1991). *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي.

مرتاض، ع. (1998). *في نظرية الرواية*، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة.

المطيري خ. ن. م. (2022). شعرية الشخصية المرجعية والتخييلية في معارج ابن عربي. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، (14)، 463-493. https://doi.org/10.53286/arts.v1i14.879

ابن منظور. (د.ت). *لسان العرب*، دار المعارف.

موسوعة الأحاديث النبوية. (2024). https://hadeethenc.com/ar/browse/hadith/11179

نجاتي، م. (1997). *القرآن وعلم النفس* (ط.6). دار الشروق.

هلال، م. غ. (د.ت). *الأدب المقارن*، دار نهضة مصر.

هلال ب. م. غ. (د.ت). *النقد الأدبي الحديث*، دار نهضة مصر.

واصل، ع. (2021). تجليات «عدن» في الرواية اليمنية: التمظهرات والقضايا والأبعاد، *عالم الفكر*، (183)، 57-86.

واصل، ع. (2016). الفضاء الجغرافي في ديوان "أبجدية الروح": تمظهراته وأبعاده الدلالية. *الخطاب*، *11* (21)، 153-176.

وهبة، م.، والمهندس، ك. (1984). *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*، مكتبة لبنان.

اليزيدي، أ. ع. م. ح. (2018). بناء الشخصية الرئيسة وأبرز ملامحها في سورة يوسف. *مجلة الآداب*، (9)، 5-49. https://doi.org/10.35696/.v1i9.537

اليزيدي، أ. ع. م. ح. (2021). بناء الشخصية الرئيسة في رواية اليقطينة لمحمد مسعد. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *1* (4)، 7-39. https://doi.org/10.53286/arts.v1i4.243

Arabic References

al-Qur'ān al-Karīm

Ismāʿīl, ʿA. (1978). *al-adab wa-funūnuh* (7th ed.). Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Amīn, Mukhtār. (2018). *Fann kitābat al-qiṣaṣ al-qaṣīrah wa-nuṣūṣ taṭbīqīyah*, Dār al-Mukhtār.

Bārt, R. (1992). *al-Taḥlīl al-binyawī lil-sard. Ṭarāʾiq taḥlīl al-sard al-Adabī (9 36)*, (Ḥasan Baḥrāwī, wa-Bashīr al-Qimarī, wa-ʿAbd al-Ḥamīd ʿAqqār, tarjamat), Manshūrāt Ittiḥād Kitāb al-Maghrib.

Bānfyld, U. (1992). *al-uslūb al-sardī wa-naḥwa al-khiṭāb al-mubāshir wa-al-khiṭāb ghayr al-mubāshir. Ṭarāʾiq taḥlīl al-sard al-Adabī (123 156)*, (Bashīr al-Qimarī, tarjamat), Manshūrāt Ittiḥād Kitāb al-Maghrib.

al-Bukhārī, M. b. I. (2002). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (1st ed.). Dār Ibn Kathīr.

al-Bustānī, b. (1998). *Muḥīṭ ālmḥyṭ*, Maktabat lbnān nāshrwn.

Twdwrwf, t. (1992). *Maqūlāt al-sard al-Adabī. ḍimna Ṭarā'iq taḥlīl al-sard al-Adabī (39 70),* (al-Ḥusayn Saḥbān, wa-Fu'ād Ṣafā, tarjamat), Manshūrāt Ittiḥād Kitāb al-Maghrib.

Alkhrshh, U. Gh. A. (2008). *uslūbīyah al-inziyāḥ fī al-naṣṣ al-Qur'ānī* [uṭrūḥat duktūrāh ghayr manshūrah], Jāmi'at Mu'tah, al-Urdun.

al-Zamakhsharī, M. b. 'A. (1988). *al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl wa-'uyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-ta'wīl* ('Ādil Aḥmad 'Abd al-Mawjūd, wa-'Alī Muḥammad Mu'awwaḍ, taḥqīq ; 1st ed.), Maktabat al-'Ubaykān al-Riyāḍ.

zytwny, L. (2002). *Mu'jam mṣṭlḥāt nqd al-riwāyah : 'rby, injlyzy, frnsy* (1st ed.). dār ālnhār llnshr.

al-Zīr, M. b. Ḥ. (1985). *al-qiṣaṣ fī al-ḥadīth al-Nabawī : dirāsah fannīyah mawḍū'īyah* (3rd ed.). D. N.

Sulaymān, 'A. Ḥ. (1995). *al-qiṣṣah al-Qur'ānīyah : al-Khaṣā'iṣ wa-al-ahdāf,* (1st ed.). Maṭba'at al-Ḥusayn al-Islāmīyah.

al-Ṭabarī, M. b. J. (2002). *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl āy al-Qur'ān* (1st ed.). Dār ibn Ḥazm.

Ṭūl, M. (1989). *al-binyah al-sardīyah fī al-qiṣaṣ al-Qur'ānī,* Dīwān al-Maṭbū'āt al-Jāmi'īyah.

Ibn 'Āshūr, M. A. (N. D). *tafsīr al-Taḥrīr wa-al-tanwīr,* Saḥnūn lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

'Allūsh, S. (1985). *Mu'jam ālmṣṭlḥāt al-adabīyah ālm'āṣrh* (1st ed.). Dār ālktāb āllbnāny.

Fatḥī, I. (1986). *m'jm almṣṭlḥāt al-adabīyah,* ṭb' ālt'āḍdyh āl'mālyh llṭbā't wālnshr.

Fahd, 'A. M. (2023). *Raw'ah al-qiṣaṣ al-Qur'ānī, Majallat al-'Ulūm al-Islāmīyah,* (34), 380-412.

Al-Qarni, A. A. A. . (2022). The Semiotics of the Character in the Novel: A Thousand Women in My Body. *Arts for Linguistic & Literary Studies, 1*(13), 318–352. https://doi.org/10.53286/arts.v1i13.833

Quṭb, S. (1977). *fī ẓilāl al-Qur'ān* (4th e.). Dār al-Shurūq.

Qandīl, F. (2002), *Fann kitābat al-qiṣṣah : Kitābāt naqdīyah,* al-Hay'ah al-'Āmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah.

Ibn Kathīr. (2000). *tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm* (1st ed.). Dār Ibn Ḥazm.

Kwlr, J. (2003). madkhal ilá al-naẓarīyah al-adabīyah (Muṣṭafá Bayyūmī 'Abd al-Salām, tarjamat), al-Majlis al-A'lá lil-Thaqāfah.

Laḥmidānī, Ḥ. (1991). *Binyat al-naṣṣ al-sardī min manẓūr al-naqd al-Adabī,* al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī.

Murtāḍ, 'A. (1998). *fī Naẓarīyat al-riwāyah,* 'Ālam al-Ma'rifah, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah.

Al-Mutairi, K. N. M. . (2022). Poetics of the Reference and Imaginary Character in Ibn Arabi's Ma'arij. *Arts for Linguistic & Literary Studies,* (14), 463–493. https://doi.org/10.53286/arts.v1i14.879

Ibn manẓūr. (N. D). *Lisān al-'Arab,* Dār al-Ma'ārif.

Mawsū'at al-aḥādīth al-Nabawīyah. (2024). https://hadeethenc.com/ar/browse/hadith/11179

Najātī, M. (1997). *al-Qur'ān wa-'ilm al-nafs* (6th ed.). Dār al-Shurūq.

Hilāl, M. Gh. (N. D). *al-adab al-muqāran,* Dār Nahḍat Miṣr.

Hilāl b. M. Gh. (N. D). *al-naqd al-Adabī al-ḥadīth,* Dār Nahḍat Miṣr.

Wāṣil, 'A. (2021). Tajallīyāt « 'Adan » fī al-riwāyah al-Yamanīyah : altmẓhrāt wa-al-qaḍāyā wa-al-ab'ād, *'Ālam al-Fikr,* (183), 57-86.

Wāṣil, 'A. (2016). al-faḍā' al-jughrāfī fī Dīwān "Abjadīyat al-rūḥ" : tmẓhrāth wa-ab'āduhu al-dalālīyah. *al-khiṭāb, 11* (21), 153-176.

Wahbah, M., wa-al-muhandis, K. (1984). *Mu'jam al-muṣṭalaḥāt al-'Arabīyah fī al-lughah wa-al-adab,* Maktabat Lubnān.

Al-Yazidi, A. A. M. H. . (2018). Building the Main Character and its Most Prominent Features in Surat Yusuf. *Journal of Arts, 1*(9), 5–49. https://doi.org/10.35696/.v1i9.537

Al-Yazeedi, A. A. M. H. . (2021). Constructing theMain Character in 'Al-Yaqteena' Novel by Muhammad Mus'ed. *Arts for Linguistic & Literary Studies, 1*(4), 7–39. https://doi.org/10.53286/arts.v1i4.243